

الرسالة الأولى

(رسالة من أنطونيوس المتوحد ورئيس المتوحدين إلى الاخوة الساكنين فى كل مكان)

أولاً وقبل كل شئ أهدى سلامى إلى محبتكم فى الرب!..

أرى يا إخوة أن النفوس التى تقترب من محبة الله هى ثلاثة أنواع، سواء من الرجال أو من النساء.

1- النوع الأول (أى الدعوة الأولى) هم أولئك الذين دُعوا بناموس المحبة الذى فى طبيعتهم، تلك المحبة التى غُرست فيهم من الصلاح الأسمى عند خلقتهم الأولى – وعندما جاءت إليهم كلمة الله، لم يَشْكُوا فيها مطلقاً. بل قبلوها وتبعوها بكل استعداد ونشاط، مثل إبراهيم أب الآباء. فلما رأى الله أنه لم يتعلم محبة الله عن طريق تعليم البشر وإنما تعلمها من الناموس المغروس فى طبيعة خلقته الأولى، ظهر الله له وقال "أخرج من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى سوف أريك" (تك:1:1) فخرج دون أن يَشْكُ، بل كان مستعداً لدعوته. إن إبراهيم هو نموذج لهذا النوع من الاقتراب إلى محبة الله، والذى لا يزال موجوداً إلى الآن فى أولئك الذين يسلكون فى خطواته. إنهم يتعبون طالبين مخافة الله بالصبر والسكون ويحصلون على الحياة الحقيقية لأن نفوسهم مستعدة لأن تتبع محبة الله. هذا هو أول نوع للدعوة.

2- الدعوة الثانية هى هذه: يوجد أناس يسمعون الكلمة المكتوبة وما تشهد به عن الآلام والعذابات المعدة للأشرار، والمواعيد المُعدة لمن يسلكون بلياقة فى مخافة الله، وبشهادة الشريعة المكتوبة تتيقظ نفوسهم وتطلب الدخول إلى الدعوة كما يشهد داود عندما يقول "ناموس الرب طاهر يرد النفس، شهادة الرب صادقة تعطى حكمة للبسطاء (الودعاء)" (مز:19:7)، وفى موضع آخر يقول "فتح كلامك يضىء عقل البسطاء" (مز:119:130). وأقوال أخرى كثيرة، لا نستطيع أن نذكرها كلها الآن.

3- الدعوة الثالثة هى هذه: توجد نفوس كانت سابقاً قاسية القلب مستمرة فى أعمال الخطية ولكن الله الصالح فى رحمته رأى أن يرسل عليهم تأديبات الآلام والضيقات حتى يتعبوا، فيستفيقون وينتبهون ويتغيرون ويتقربون من الله ويدخلون فى معرفته، ويتوبون من كل قلوبهم، وهؤلاء أيضاً يبلغون إلى الحياة الحقيقية مثل أولئك الآخرين الذين تكلمنا عنهم سابقاً.

❖ هذه هى طرق الاقتراب الثلاثة التى تأتى بها النفوس إلى التوبة لكى تنال نعمة ودعوة ابن الله.

الروح القدس يسهل للنفس طريق التوبة:

والآن فيما يخص أولئك الذين دخلوا بكل قلوبهم وقرروا أن يحتقروا كل شهوات الجسد وبشجاعة يقاومون الحرب التي تقوم ضدهم إلى أن ينتصروا، فإنى اعتقد، أن الروح هو الذى يوجه إليهم الدعوة أولاً وهو يجعل الحرب هينة وسهلة بالنسبة لهم، ويجعل أعمال التوبة حلوة ويريهم كيف يجب أن يتوبوا بالجسد والنفس حتى يبلغ بهم إلى التحول الكامل إلى الله الذى خلقهم.. ويعطيهم أعمالاً بواسطتها يمكنهم أن يجمعوا النفس والجسد حتى يتطهرا ويدخلا معاً إلى ميراثهما (حياة الأبد).

روح القدس يرشد الإنسان حتى يتطهر جسداً وروحاً :

أولاً، فإن الجسد يتطهر بالصوم الكثير وبالسهر وبالصلوات وبالخدمة التي تجعل الإنسان ينضبط فى جسده ويقطع من نفسه كل شهوات الجسد. ويصبح روح التوبة هو مرشده فى هذه الأمور، ويختبره بواسطتها لئلا يقتتصه العدو إليه مرة ثانية.

وعندئذ يبدأ الروح الذى يرشده، أن يفتح عينى نفسه لى يعطيها التوبة أيضاً لكيما تتطهر ويبدأ العقل أيضاً فى التمييز بين الجسد والنفس، وذلك عندما يبدأ أن يتعلم من الروح كيف يطهرهما بالتوبة. وعندما يتعلم العقل من الروح فإنه يصبح مرشداً لكل أعمال الجسد والنفس معلماً إيانا كيف نطهرهما. ويفصلنا عن كل الثمار اللحمية التي اختلطت بأعضاء الجسد منذ المعصية الأولى. ويعيد كل عضو من أعضاء الجسد إلى حالته الأصلية دون أن يكون فيه أى شئ من روح الشيطان. ويصبح الجسد تحت سلطان العقل المتعلم من الروح كما يقول الرسول بولس " أقمع جسدى واستعيده" (1كو9:27) لأن العقل يطهره فى أكله وفى شربه وفى نومه، وبكلمة واحدة فإنه يطهره فى كل حركاته. حتى أنه من خلال طهارة (العقل) يتحرر الجسد حتى من الحركات الطبيعية التي فيه

حركات الجسد الثلاث:

واعتقد أنه توجد ثلاثة أنواع لحركة الجسد:

1— توجد حركة مغروسة فى الجسد بالطبيعة غرست فيه فى خلقته الأولى ولكنها لا تعمل (ما هو خاطئ) بدون إرادة النفس، وإنما عملها فقط هو أن تنبها إلى أنها حاضرة وموجودة، وذلك بواسطة حركة غير شهوانية فى الجسد.

2— وتوجد حركة أخرى وهي تحدث عندما يملأ الإنسان جسده بالطعام والشراب وتتسبب حرارة الدم المتولدة من كثرة الأطعمة في إثارة الحرب في الجسد بسبب نهما. ولهذا السبب يقول الرسول " لا تشربوا الخمر الكثير" (أف5:18) وأيضاً حذر الرب تلاميذه " احترزوا لئلا في أى وقت تنقل قلوبكم بالشبع والسكر" (لو21:34) أو اللذة. وخاصة أولئك الذين يطلبون ملء النقاوة عليهم أن يقولوا اخضع جسدى واستعبده (1كو9:27).

3— أما الحركة الثالثة فهي من الأرواح النجسة التي تجربنا بسبب حسدها لنا وتسعى لأن تدنس هؤلاء الذين يبدؤون السير في طريق النقاوة.

والآن يا أولادى المحبوبين، إذا تسلحت النفس بالصبر، في هذه الحركات الثلاثة، وثبتت في الشهادة التي يشهد بها الروح داخل القلب فإن النفس والجسد كليهما يتطهران من هذا النوع من المرض. لكن إذا رفض القلب الشهادة التي يشهد بها فيه الروح بخصوص هذه الحركات الثلاث فإن الأرواح الشريرة تتسلط عليه وتزرع في الجسد كل الشهوات وتحركها وتثير حرباً عنيفة ضده حتى تخور النفس وتمرض، فإن رجعت وصرخت طالبة الحصول على المعونة فإنها تتوب، وتطيع وصايا الروح، وتشفى ، عندئذ تتعلم من الروح أن تجد راحتها في الله، وتعرف أنه هو (الله) وحده سلامها.

هذه الأشياء قلتها لكم يا محبوبون لكي تعلموا كيف ينبغي على الإنسان أن يتوب جسداً ونفساً (بجسده ونفسه) ويظهرهما كليهما. فإذا ما غلب العقل في هذا النضال، فإنه حينئذ يصل بالروح (القدس) ويبدأ في أن يطرد من الجسد شهوات النفس التي تأتي إليها من إرادتها الخاصة. حينئذ يصير للروح القدس شركة وألفة مع العقل، لأن العقل يحفظ الوصايا التي سلمها إليه الروح.

الروح القدس وتقديس الحواس والأعضاء:

ويُعلم الروح العقل كيف يشفى جراحات (شهوات) النفس وكيف تتخلص منها كلها، تلك الشهوات التي امتزجت بأعضاء الجسد، وشهوات أخرى غريبة تماماً عن الجسد ولكنها اختلطت بالإرادة:

العينان: ويضع الروح للعينين قانوناً لكي تنظرا باستقامة ونقاوة ولكي لا يوجد فيها أى خداع.

الأذنان: وبعد ذلك يضع قاعدة للأذنين كيف تسمعا بسلام ولا تشتاقا أو تشتتها سماع الكلام الرديء، ولا أن تسمع عن فضائح الناس بل يعلمهما كيف تبتهجان بالسمع عن الأشياء الصالحة، وعن الطريقة التي يثبت بها كل إنسان، وعن الرحمة المعطاة لكل الخليقة التي كانت مريضة فيما سبق.

اللسان: وأيضاً فإن الروح يعلم اللسان النقاوة، وذلك لأن اللسان كان مريضاً بمرض خطر، لأن المرض الذي أصاب النفس كان يُعبر عنه بواسطة اللسان الذي تستخدمه النفس كأداة لها، وبهذه الطريقة أصيب اللسان بمرض خطير وجرح جرحاً عظيماً، وأيضاً بواسطة هذا العضو — اللسان — بنوع خاص، قد مرضت النفس. والرسول يعقوب يشهد (عن هذا الأمر) قائلاً " إن ظن إنسان إنه دين وهو لا يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا الإنسان باطلة" (انظر يع1:26) وفي موضع آخر

يقول " اللسان هو عضو صغير وينس الجسد كله " (يع3:5-6). وكثير أيضًا غير ذلك لا أستطيع أن اقتنسه كله الآن. ولكن إذا تقوى العقل بالقوة التى ينالها من الروح فإنه أولاً يتطهر ويتقدس، ويتعلم التمييز والافراز فى الكلمات التى يسلمها إلى اللسان (لكى ينطقها)، لكى تكون هذه الكلمات بدون تحزب وبدون إرادة ذاتية أنانية، وهكذا يتم قول سليمان " كل كلمات فمى بالحق ليس فيها عوج ولا إلتواء " (أم8:8)، وفى موضع آخر يقول " أما لسان الحكماء فشفاء " (أم12:18) وأقوال أخرى كثيرة.

حركات اليدين: وبعد ذلك يشفى الروح اليدين التى كانت تتحرك بطريقة مضطربة – متبعة إرادة العقل، أما الآن فإن الروح يعلم العقل كيف يطهرهما لكى يعمل ويشتغل بهما فى عمل الرحمة وفى الصلاة وبذلك تتم الكلمة التى قيلت عنهما " ليكن رفع يدي كذبحة مسائية " (مز141:12) وفى موضع آخر " أما أيدي المجتهدين فتغنى " (أم4:10).

لبطن (الأكل والشرب): وبعد ذلك يطهر الروح البطن فى أكلها وفى شربها لأنه طالما أن رغبات النفس نشيطة فيها، فإنها لا تشبع فى نهمها إلى الطعام والشراب، وبهذه الطريقة فإن الشياطين يقومون بهجومهم على النفس. وعن هذا تكلم الروح فى داود قائلاً " مستكبر العين ومنتفخ القلب لا أكل معه " (مز100:5 س) وكل الذين يطلبون الطهارة فى هذا الأمر فإن الروح القدس يضع لهم قواعد للتطهير، وهى الأكل باعتدال بما يكفى لأجل قوة الجسد، وبدون تلذذ شهوانى، وبهذا يتم قول بولس " فإن كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شئ لمجد الله " (1كو10:31) .

الأفكار الجنسية: وأما عن الأفكار الجنسية التى تتحرك من الجزء أسفل البطن، فإن العقل يتعلم بالروح كيف يميز بين الحركات الثلاثة التى تكلمنا عنها سابقاً ويثابر فى تطهير هذه الأعضاء حسب ما يعينه الروح ويقويه، حتى أن كل الحركات تنطفئ بقوة الروح الذى يصنع سلاماً فى كل الجسد ويقطع منه كل الشهوات. وهذا ما يقوله القديس بولس " فاميتوا أعضاءكم التى على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديئة... إلخ " (1كو3:5).

خطوات القدمين: وبعد كل هذا يعطى القدمين أيضاً طهارتهما. لأنهما قبلاً لم تكن خطواتهما مستقيمة بحسب إرادة الله، أما الآن فإذا قد صار العقل موحدًا تحت سلطان الروح، فإنه (العقل) يطهر القدمين لكى تسير حسب إرادته لتذهبها وتخدمها فى الأعمال الصالحة.

نتيجة: تغيير وتجلي الجسد، وبذلك يتغير الجسد كله ويتجدد ويصبح تحت سلطان الروح. وأعتقد أنه عندما يتطهر كل الجسد ويأخذ ملء الروح فإنه بذلك يكون قد نال بعض النصيب من ذلك الجسد الروحانى العتيد أن يكون فى قيامة الأبرار.

هذا قد قلته عن أمراض النفس التى اختلطت بأعضاء الطبيعة الجسدية التى فيها تتحرك النفس وتعمل، وهكذا تصبح النفس مرشدًا للأرواح النجسة التى تأتى وتعمل فى أعضاء الجسد. ولكننى قد قلت أيضًا أن النفس لها شهوات أخرى مختلفة عن شهوات الجسد، وهذه هى التى سنوضحها الآن.

شهوات النفس :

الكبرياء، الذى هو مرض خاص بالنفس، ولا علاقة له بالجسد، وكذلك الافتخار والحسد، والكرهية والغضب والتراخى وغيرها. ولكن إذا سلّمت النفس ذاتها لله بكل قلبها فإن الله يرحمها، ويسلّمها إلى روح التوبة الذى يشهد لها عن كل خطية، لكى لا تقترب منها مرة أخرى، ويكشف للنفس عن أولئك الذين يحاربونها ويحاولون أن يمنعوها من الانفصال عن الخطايا باذلين كل جهدهم لكى لا تثبت (النفس) فى التوبة، ولكن إذا احتملت النفس واطاعت الروح الذى يرشدها للتوبة فإن الخالق يتحنن بسرعة على تعب توبتها وإذ يرى أتعاب الجسد فى الصلاة الكثيرة والصوم والتضرع وتعلّم كلمات الله، وفى جدد العالم وفى الاتضاع والدموع والثبات فى الانسحاق، عند ذلك فإن الله الرحيم إذ يرى تعبها وخضوعها، يتحنن عليها ويخلصها (يحررها).